الأهرام

المصدر: الشرق الاوسط

التاريخ : ٦ مارس ٢٠٠٥

اغتيال الحريري.. أم الشرق الأوسط الكبير؟

هل صحيح أن سوريا هي التي تحرك الأحداث في العراق وفلسطين ولبنان..؟

جاءت كونداليزا رايس إلى لندن لتحضر مؤتمرا حول دعم السلطة الفلسطينية، ولكنها ركزت جهودها بدلا من ذلك على شن حملة ضد سوريا، والتركيز على ضرورة خروجها من لبنان، من دون أي ذكر لحادث اغتيال رفيق الحريري. وتستدعي هذه الحملة وقوفا أمام حدثين:

الحدث الأول: إعادة انتخاب الرئيس جورج بوش إلى دورة رئاسية ثانية. فقد اعتادت المنطقة العربية أن تتفاعل عند انتخاب أي رئيس أميركي لدورة ثانية، مؤملة أن الدورة الجديدة ستكون مناسبة لاستجلاب مواقف أميركية من نوع مختلف، تتصف بالإيجابية، أو بالتوازن، أو بالعدالة، وبخاصة في القضية السياسية الكبيرة المزمنة في المنطقة، وهي قضية الصراع العربي - الإسرائيلي. ومدعاة هذا التفاؤل العربي أن الرئيس حين ينتخب لدورة ثانية، يصبح قادرا على مقاومة الضغوط التي تواجهه في لعبة السياسة الداخلية، ولا يكون معنيا بإرضاء هذا اللوبي أو ذاك، ويبرز لديه اهتمام ببلورة صورته التي سيحفظها له التاريخ. وقد تكررت المعزوفة نفسها حين تم انتخاب الرئيس جورج بوش لدورة رئاسية ثانية، وزاد الإلحاح على سماع المعزوفة بسبب الانحياز الشديد الذي لا مثيل له، والذي مارسه الرئيس بوش تجاه إسرائيل وضد مصالح الفلسطينيين، طوال سنوات رئاسته الأولى. وكان هناك من عاكس تيار الأماني هذا، وتوقع أن يكون الرئيس بوش في دورة رئاسته الثانية أكثر عدوانية مما كان عليه في دورة رئاسته الأولى، وانه سيرى في إعادة انتخابه تأييدا وتفويضا من الشعب الأميركي لاستراتيجيته السياسية التي أثارت خلافات كثيرة على مستوى الولايات المتحدة الأميركية وعلى مستوى العالم كله (استراتيجية الحرب المسبقة)، وبخاصة عبر تطبيقاتها في أفغانستان والعراق وما حولهما.

الحدث الثاني: إن الرئيس بوش، خص العالم العربي، وخص العالم الإسلامي، بخطة (هجوم) استراتيجية خاصة به، أسماها «إعادة بناء الشرق الأوسط الكبير»، وعناوين الخطة (الهجوم): نشر الحرية والديمقراطية على امتداد هذه البلدان، مع وضع خطة اقتصادية للتنمية فيها، مع السعي لنشر التعليم، والكومبيوتر، وتحرير المرأة، ويتضمن ذلك أيضا رصد ميزانية لتدريب الصحافيين والنقابيين على قيم الديمقراطية وكيفية ممارستها. وقد اجتهدت الولايات المتحدة الأميركية في الترويج لهذه الخطة التي فاحت منها رائحة النفط ورائحة حرب الحضارات، فتعاملت بمرونة مع المواقف الدولية التي اعترضت عليها ورأت فيها توجها لفرض سياسات أميركية، وقيما أميركية، على مجتمعات مختلفة ومتباينة، وهي مجتمعات لها ثقافاتها وحضاراتها الخاصة بها. وشمل الاعتراض التوقيت والتدرج اللازمين حسب ظروف كل بلد في إجراء الإصلاحات اللازمة. وبرزت الفكرة القائلة إن الإصلاح يجب ألا يفرض من الخارج، وأن يكون خطة تبادر إليها الأطراف نفسها. وكانت كثير من الدول شريكة لدول الشرق الأوسط في تبني الاعتراضات، منعا لمنهج الفرض والسيطرة الذي بادرت إليه الولايات المتحدة لفرض سياساتها (الإمبراطورية) على العالم.

هنا بادرت الولايات المتحدة إلى سياسة مرنة في التعامل مع الأطراف الأوروبية، فعقدت مؤتمرات عدة من أجل كسب تأييد هذه الدول لخطتها (هجومها) باتجاه الشرق الأوسط الكبير، فقدمت تنازلات لفظية حول أسلوب تطبيق الخطة، مع تمسك عنيد ببنود الخطة نفسها، وقالت: إنها تؤيد التدرج في تنفيذ الإصلاحات المطلوبة، بل وتؤيد أن تكون هذه الإصلاحات نابعة من الدول نفسها وليست مفروضة عليها، وتم تسجيل ذلك في البيانات الرسمية الصادرة عن هذه المؤتمرات، ورغم ذلك فإن شيئا لم يتغير على أرض الواقع، وبقيت الخطة (الهجوم) الأميركية على حالها، وواصلت الإدارة الأميركية الضغط على كل دولة على حدة من أجل تطبيقها، ويعني تطبيقها نتيجة نهائية واحدة، وهي أن تصبح هذه الدولة مؤيدة وتابعة للسياسة الأميركية، وإلا فإنها ستواجه الضغوط، والعقوبات الاقتصادية، والتهديد بمعاداة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بلال الحسن
Belal2001@club-Internet.fr

المجتمع الدولي لها عبر قرارات تصدر عن مجلس الأمن، مع احتمال التهديد أخيرا بشن حرب ما ضدها، مباشرة أو بواسطة إسرائيل (ايران وسوريا مثلا).

هذان العاملان: مواصلة إدارة الرئيس بوش لسياستها العدوانية، والاستهداف المركّز لدول الشرق الأوسط الكبير، يشكلان الأساس المتين لعملية الضغط الأميركية الجارية أمامنا منذ أشهر ضد سوريا وإيران. وتصاعدت، وتركزت عملية الضغط في الأسابيع الأخيرة ضد سوريا بشكل خاص، بعد حادث اغتيال رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان الأسبق. ولو أن الحملة الأميركي ضد سوريا بدأت وامتدت واتصلت بسبب حادث اغتيال الحريري، وعلى قاعدة اتهام سوريا بالمسؤولية عنه، لجاز الربط بين الأمرين، ولكن ما نشهده أمامنا بالوقائع والتصريحات، أمر مخالف تماما، ويكاد الموقف الأميركي ضد سوريا أن يغفل موضوع اغتيال الحريري، ويعتبره موضوعا منفصلا يبت به التحقيق المحلي والدولي، ليركز على موضوع الشرق الأوسط الكبير الذي تقف سوريا عقبة في وجهه حسب التصور الأميركي. وقد تولت وزيرة الخارجية كوندااليزا رايس شرح ذلك بوضوح كامل في لقائها مع صحافيين عرب في لندن أثناء انعقاد المؤتمر الخاص بفلسطين. قالت رايس في شرحها «إن سوريا تحرم لبنان والعراق وفلسطين من فرصة مستقبل أفضل»، وقالت «إن سوريا عقبة في الشرق الأوسط، وعقبة أمام التغيير في المنطقة»، وقالت «إن سوريا تحتاج إلى أن تتغير وتواكب شرق أوسط يتغير بسرعة»، فهل سوريا قادرة فعلا على أن تفعل كل ذلك؟ هل المقاومة في العراق نابعة من الدعم السوري لها وإذا توقف الدعم السوري توقفت المقاومة؟ هل المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي، وهل الانتفاضة الفلسطينية التي دامت أربع سنوات هي من صنع سوريا؟ وهل توقفت الانتفاضة (التهدئة) بطلب سوري أم بخطة فلسطينية متفق عليها؟ والمقاومة اللبنانية للاحتلال الإسرائيلي ألم تبدأها أحزاب الحركة الوطنية اللبنانية حين كانت سوريا خارج لبنان عام 1982؟ وهل كان لهذه المقاومة أن تتواصل وتقوى لولا أن لبنانيين مستعدون هناك للموت من أجل تحرير وطنهم من الاحتلال الأجنبي؟ إن من يصر على ربط كل هذه الأمور بقدرات سوريا على الفعل، لا يعرف قدرات سوريا، ولا يعرف قدرات المنطقة المحيطة بها. ولكن من يعرف يرى أن للمعركة الأميركية الدائرة حول سوريا هدفا آخر، هو هدف إخضاعها لتصبح جزءا من منظومة السياسة الأميركية في المنطقة، وهو هدف إخضاعها كجزء من دول الشرق الأوسط الكبير الذي تتطلع إلى السيطرة عليه. ولا ضرر من أجل تحقيق هذا الهدف من تصوير سوريا على أنها الدولة العظمى في المنطقة، والقادرة على تحريك مقاومة العراق لأميركا، وتحريك مقاومة الفلسطينيين لإسرائيل، والسيطرة على لبنان والاستفادة منه لأهداف سوريا فقط. وحين جاء حادث اغتيال الحريري، فقد رأت واشنطن في الحادث المفجع أفضل وسيلة لتحريك عش الدبابير ضد سوريا، فاعتمدت الحادث «منصة» للضغط على سوريا وحصارها.

هناك أسباب عديدة تدعو لبحث خروج سوريا من لبنان، إما تطبيقا لاتفاق الطائف، وإما تطبيقا للقرار الدولي 1559، ولكن أخطر ما في هذا كله فكرة واحدة باتت تتكرر لبنانيا وعربيا، وتروج لها للأسف «نخب» ثقافية وسياسية، وهي الفكرة التي تستسهل الاستعانة بالأجنبي من أجل الانتصار في معركة سياسية داخلية. وقد برزت هذه الفكرة أولا في أوساط «النخب» العراقية في المهجر، ثم برزت في لبنان داعية إلى استعادة الانتداب وقواه العسكرية، وهي تبرز حاليا في الخليج عبر «كتاب النخبة» الذين لا يتورعون عن عقد مقارنات بين احتلال العراق للكويت عام 1990 وما تلا ذلك من تدخل أجنبي، وبين وجود سوري شرعي في لبنان، لا بد أن يتلوه أيضا تدخل أجنبي.

إن دعاة الاستعانة بالأجنبي، هم أبرز مظاهر الشرق الأوسط الكبير الذي تتطلع واشنطن إلى بنائه والسيطرة عليه.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية